من بلاغة القرآن

في

سورة الواقعة

إعداد

أ.د. محمد الأمير محمد السيد

الأستاذ المساعد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

سورة الواقعة من السور التى تتردد كثيراً على ألسنة القراء المصلين وبعد صلاة العشاء ، وصلاة الصبح عملا بحديث الرسول ﷺ (من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقه) .

ولفت نظرى أن سورة الواقعة طبعت وتطبع فى كتيب وحدها وتباع والناس يقبلون على شرائها .

وهذا كله دفعنى إلى التأمل فى آياتها وتأمل المكنونات البلاغية فيها، فوجدتها كثيرة ، ومتنوعة وفيها الجديد الذى لم يكتشفه معظم المفسرين، فاستعنت بالله وأدليت بدلوى فى حقول بلاغتها وفهمت الكثير منها بإرادة الله وتيسيره، وكتبت هذه التحليلات البلاغية لها والله هو المريد وهو الفعال .

وقد سرت فى تحليلى للسورة حسب الأغراض، فأذكر غرضا وتحته آياته، ثم أذكر تفسير مفرداته، ثم شرحا إجماليا ثم التحليل البلاغى وهكذا إلى آخر السورة، وقد وجدت فى ذلك تجنبا للتكرار، وإيجازا للإطناب الممل، لأن الآية الواحدة أحيانا نجد فيها مسائل بلاغية كثيرة تدخل تحت مبحث علم المعانى، ومبحث علم البيان، ومبحث علم البديع، فلو فرقت هذه المسائل ووضعتها تحت أبوابها لتكررت الآية ، وغيرها ولكنى اخترت الطريقة الموجزة وذلك بعرض

كل مافى الآية من وجوه بلاغية تحت التحليل البلاغى وحسب ترتيبها فى الآيات التى ذكرت تحت الغرض من السورة.

والله الموفق والملهم وندعو الله أن يكتبها لنا فى ميزان حسناتنا إنه نعم المجيب.

سبب التسمية: سماها الرسول ﷺ

روى الترمذى عن ابن عباس قال: أبو بكر يارسول الله ﷺ قد شبت، قال شيبتنى سورة هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون والشمس كورت، وكذلك سميت فى عصر الصحابة ولا يعرف لها اسم غير هذا (١).

وهى مكية قال ابن عطية: بإجماع من يعتد به من المفسرين وهى السورة السادسة والأربعون فى ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة طه وقبل سورة الشعراء.

وقد عد أهل المدينة ومكة والشام آياتها تسعا وتسعين وعدها أهل البصرة سبعا وتسعين وأهل الشام ستًا وتسعين.

مناسبتها لما قبلها:

١- كل منهما تضمنت العذاب للمجرمين، والنعيم للمؤمنين.

٢- فاضل سبحانه وتعالى بين جنتى بعض المؤمنين وجنتى بعض آخر منهم فى سورة الرحمن فانقسم الناس بذلك إلى كافر ومؤمن فاضل ومؤمن مفضول وعلى هذا جاء ابتداء سورة الواقعة من كونهم أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة وسابقين.

٣- فى سورة الرحمن قال: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً

(١) انظر التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٧٩، ٢٨٠.

كَالدِّهَانِ ﴾ فاقتصر على انشقاق السماء وفى الواقعة اقتصر على ذكر الرّج رج الأرض (١) فكان السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة .

فضائلها :

جاء فى فضائلها آثار :

١- أخرج أبو عبيد فى فضائله وابن الضريس والحرث بن أبى أسامه وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقه).

٢- وأخرج بن عساكر عن ابن عباس ونحوه مرفوعا. وأخرج ابن مردويه عن أنس عن رسول الله ﷺ « سورة الواقعة سورة الغنى فاقرأوها وعلموها أولادكم».

٣- وأخرج الديلمى عنه مرفوعا« علموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى » (٢).

أغراض السورة (٣):

١- التذكير يوم القيامة وتحقيق وقوعه، ووصف ما يعرض وهذا العالم

(١) انظر روح المعانى ٢٧/١٢٨.
(٢) انظر ابن كثير ٢٧/١٢٨، ١٢٩، وروح المعانى ٢٧/ ٢٨١.
(٣) انظر التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٨٠.

الأرضى عند ساعة القيامة .

٢- صفة أهل الجنة وبعض نعيمهم.

٣- صفة أهل النار وما هم فيه من عذاب وذلك لتكذيبهم بالبعث، وإثبات الحشر والجزاء والاستدلال على إمكان الخلق الثانى، والاستدلال بدلائل قدرة الله تعالى .

٤- الاستدلال بنزع الله الأرواح من الأجساد كارهون لا يستطيع أحد منعها من الخروج، على أن الذى قدر على نزعها بدون مدافع قادر على إرجاعها متى أراد .

٥- وتأكيدا أن القرآن من عند الله وزنه نعمة أنعم الله بها عليهم فلم يشكروها وكذبوا بما فيه .

قيام القيامة وأصناف الناس

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ
(٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً
مُّنبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ
(٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ
(١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣)
وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤)﴾

تفسير المفردات :

وقعت : حدثت.

الواقعة : القيامة.

لوقعتها : أى لوقوعها وحدثوها.

كاذبة : أى كذب .

رجت : حركت تحريكاً شديداً بحيث تهدم ما فوقها من مبان وجبال.

بست : فتتت وصارت كالسويق الملتوت من قولهم بس فلان السويق: أى لته.

هباء: غبار .

منبثا : متفرقا. أزواجا : أصنافا، والزوج يطلق على كل من الفريقين : الذكر والأنثى فى الحيوانات المتزاوجة، وعلى كل قرينين من غيرها كالخف والنعل،وعلى كل مايقترن بآخر مماثلا له أو مضادا.

الميمنة: ناحية اليمين.

المشأمة : ناحية الشمال. والعرب يتيمنون بالميامن، ويتشاءمون بالشمائل .

السابقون : الذين سبقوا إلى الخيرات فى الدنيا .

المقربون : أرباب الحظوة والكرامة عند الله .

الثلة : الجماعة قلت أو كثرت، وقيل الجماعة الكثيرة .

الشرح العام الإجمالى :

حين يجئ يوم القيامة ويقع لا تكذب نفس على الله فتنكره، إذ تحقق بالمعاينة وشهده كل واحد ، فليس فى وقت وقوعها كذب.

وهى خافضة لأقوام، رافعة لأقوام آخرين، إذ الوقائع الشديدة شأنها الخفض والرفع ، فيوم القيامة يخفض أعداء الله إلى النار، ويرفع أولياء الله إلى الجنة .

وفى هذا اليوم تزلزل الأرض زلزالا، وتضطرب اضطرابا شديداً طولا وعرضا. فتدك الحصون والجبال وتفتت تفتيتا فتصبح كثيبا مهيلا، فبعد أن كانت شامخة متماسكة تصبح كالهباء المنبث لاذى ذرته الرياح وفرقته.

والناس إذ ذاك ينقسمون إلى أصناف ثلاثة : أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ، والسابقون .

فأصحاب الميمنة الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم وهم قد بلغوا حداً لا يقدر قدره من السعادة.

وأصحاب المشأمة الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم وقد بلغوا الغاية من سوء الحال.

والسابقون الذين يتقدمون غيرهم إلى الطاعات وهم الذين اشتهرت أحوالهم ، وعرفت فخامة أمرهم وقد نالوا حظوة عند ربهم وهم فى جناب النعيم يتمتعون ويمرحون .

التحليل البلاغى :

(إذا وقعت الواقعة) الافتتاح بالظرف (إذا) المتضمن الشرط افتتاح بديع لأنه يسترعى الألباب لترقب مابعد هذا الشرط الزمانى . وسميت القيامة بالواقعة للإيذان بتحقق وقوعها لا محالة كأنها واقعة فى نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع فى حيز الشرط، وجواب الشرط وبدله (إذا رجت) هو (فأصحاب الميمنة) أى إذا كان كذا وكذا فأصحاب الميمنة .

وقيل جواب الشرط محذوف، وحذفه وهو نوع من الإيجاز للتهويل، ولتذهب النفس فيه كل مذهب [1].

وفى المسند إليه فى قوله : (وقعت الواقعة) تهويل بتوقع حدث عظيم يحدث وبين (وقعت) و(الواقعة) جناس اشتقاق أحدث إيقاعا صاخبا تهتز له المشاعر، وتتيقظ له الأحاسيس . ويجوز أن تكون جملة (ليس لوقعتها كاذبة) حال، أو اعتراض بين (إذا وقعت الواقعة) وبين (فأصحاب الميمنة) وعلى الرأى الأخير ففائدته تحقق الوقوع وتأكيده[2].

واللام فى (لوقعتها) للتوقيت .

و(كاذبة) صفة لموصوف محذوف تقديره نفس ففيه إيجاز

(١) روح المعانى ٢٧/ ١٨٦ .
(٢) المرجع السابق .

بحذف كلمة (وخافضة رافعة).

قرئ بالنصب على أنهما حالان، وقرئ بالرفع على أنهما خبران لمبتدأ محذوف[١] والحذف هنا للعلم به [٢].

وإسناد الخفض والرفع إلى الواقعة مجاز عقلى إذ هى وقت ظهور ذلك، وإنما الخافض والرافع على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى.

والجملة (خافضة رافعة) تقرير لعظمتها وتهويل لشأنها، فإن الوقائع العظام شأنها الخفض والرفع .

وبين (خافضة) و (رافعة) طباق يبرز المعنيين ويوضحهما .

(إذا رجت الأرض رجا) لم تعطف هذه الجملة على قوله (إذا وقعت) لأنها بدل اشتمال فبينهما كمال الاتصال، و(رجا) مصدر(رجت) لتأكيد تحقق الفعل.

وعطفت جملة (وبست الجبال بسا) على ما قبلها للتوسط بين الكمالين مع عدم وجود المنافع، وأكد الفعل فيها بالمصدر لتحقق الوقوع أيضا وليأتى التنوين للتعظيم.

وقوله (فكانت هباء منبثا) لائق لمعنى البس، لأن الجبال إذا سيرت فإنما تسير تسييرا يفتتها ويفرقها، أى تسير بعثرة وارتطام .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ١٨٣ .

(٢) المرجع السابق .

واختير الفعل المطاوع - المنبث- من مطاوع بثه إذا فرقه - لمناسبته مع قوله (وبست الجبال) فى أن المبنى للنائب معناه كالمطاوعة وفى قوله (فكانت هباء منبثا) تشبيه أى فكانت كالهباء المنبث.

(وكنتم أزواجا ثلاثة) الخطاب للأمة الحاضرة، وللأمم السابقة تغليبا كما ذهب إليه جله المفسرين[١]، وقيل خطاب للأمة الحضارة.

وهذه الآية فيها تخلص إلى المقصود من السورة وهو الموعظة والاعتبار.

فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) هذه بداية الآيات التى فصلت الإجمال فى قوله (وكنتم أزواجا ثلاثة).

والميمنة : تدل على العناية والكرامة. و(المشأمة) على العكس .

وهذان اللفظان جاءا من الزجز واليعافة إذا كانوا يتوقعون حصول خير من أغراضهم من مرور الطير أو الوحش من يمين الزاجز إلى يساره، ويتوقعون الشر من مروره بعكس ذلك (ولذلك استغنى هنا عن الإخبار عن كلا الفريقين بخبر فيه وصف بعض حاليهما بذكر ماهو إجمال لحاليهما مما يشعر به ما أضيف إليه من لفظى أصحاب الميمنة والمشأمة بطريقة الاستفهام المستعمل فى التعجب من حال الفريقين فى السعادة والشقاوة، وهو تعجب متروك على إبهامه لتذهب نفس السامع كل مذهب من الخير والشر)[٢].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧, ٢٨٦.

(٢) المرجع السابق .

وإظهار لفظى (أصحاب الميمنة) (وأصحاب المشأمة) بعد الاستفهام دون الإتيان بضميرهما، لأن مقام التعجب والتشهير يقتضى الإظهار. بخلاف قوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾(١).

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾هم الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة وتأخير ذكرهم مع كونهم أسبق الأصناف، وأقدمهم فى الفضل ليردف ذكرهم ببيان محاس أحوالهم(٢) ولتشويق السامعين إلى معرفة صفتهم بعد ذكر الصنفين من الأصناف الثلاثة ترغيبا فى الاقتداء .

ووصفهم بالسبق يقتضى أنهم سابقون أمثالهم من المحسنين الذين عبر عنهم بأصحاب اليمين، فهم سابقون إلى الخير، فالناس لا يتسابقون إلا لنوال شئ نفيس مرغوب لكل الناس .والسبق حقيقته وصول أحد قبل أحد آخر، ويجوز أن يكون السبق هنا مستعملاً فى المبادرة والإسراع إلى الخير فى الدين كقوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾(٣).ففيه استعارة تصريحية تبعية فى الفعل، شبه المبادرة والإسراع إلى الخير يسبق وصول أحد أحدا قبل الآخر، واستعار المشبه به للمشبه واشتق منه السابقون.

ويجوز أن يكون مستعملا فى المغالبة فى تحصيل الخير كقوله

(١) سورة القارعة آية : ١٠ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٨٦.

(٣) سورة التوبة الآية : ١٠٠.

تعالى : ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾(١). ففيه استعارة أيضا، شبه المغالبة فى تحصيل الخير بسبق وصول أحد مكانا قبل الآخر واستعير حقيقة السبق له بمعنى المغالبة فى تحصيل الخير، واستق منه (سابقون).

و(السابقون) الثانية إما أن تكون خبرا عن الأولى وإما أن تكون توكيدا، فإن كانت خبرا فعبر به لبيان أن حالهم بغلت منتهى الفضل والرفعة بحيث لا يجد المتكلم خبرا يخبر به عنهم أدل على مرتبتهم من اسم (السابقون) فهذا الخبر أبلغ فى الدلالة على شرف قدرهم من الإخبار بـ (ما) الاستفهامية التعجبية فى قوله (ما أصحاب الميمنة) وإذا كانت توكيدا فلغرض التعجب من حالهم ، فحالهم يتعذر التعبير عنها بغير ذلك الوصف(٢). واشتقاق لقبهم من السبق يدل على بلوغهم أقصى ما يطلبه الطالبون .

وحذف متعلق (السابقون) فى الآية لقصد جعل وصف (السابقون) بمنزلة اللقب، وليفيد العموم، أى أنهم سابقون فى كل ميدان تتسابق إليه النفوس الزكية كقوله تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾(٣).

وفصلت جملة (أولئك المقربون) عما قبلها لشبه كمال الاتصال.

(١) سورة المؤمنون الآية : ٦١.

(٢) التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٨٦.

(٣) سورة المطففين آية : ٢٧.

فأنها جواب عن سؤال تضمنته الأولى ، فقوله : (والسابقون السابقون) يثير سؤالا عن أثر التنويه بهم وهذا على تقدير (السابقون الثانية خبرا عن الأولى وهذا هو الأولى فإن هذا التقدير يدل على أن حالهم بلغت من الفضل والرفعة ، وأبلغ فى الدلالة على قدر شرفهم.

وفى جعل المسند إليه اسم إشارة (أولئك) تنبيه على أنهم أحرياء بما يخبر عنه من أجل الوصف الوارد قبل اسم الإشارة ، وهو أنهم السابقون .

وجاء اسم الإشارة للبعيد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلتهم فى الفضل.

والمقرب أبلغ من القريب لدلالة صيغته على الاصطفاء والاجتباء، وفيه استعارة، لأنه قرب مجازى شبه بالقرب فى ملابسة القريب والاهتمام بشئونه، فإن المطيع بمجاهدته فى الطاعة يكون كالمقرب إلى الله ، أى طالب القرب من الله فإذا بلغ مرتبة عالية من ذلك قربه الله، أى عامله معاملة المقرب المحبوب .

(ولم يذكر متعلق (المقربون) لظهور أنه مقرب من الله، أى من عنايته وتفضله، وكذلك لم يذكر زمان التقريب ، ولا مكانه لقصد عموم الأزمان والبقاع فى الدنيا والآخرة)(١).

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٨٨.

وإيقاع قوله (فى جنات النعيم) بعد وصف (المقربون) يشير إلى أن مضمونه من آثار التقريب المذكور، ففيه إشارة إلى أن قربهم محض لذه وراحةلذلك قيل (فى جنات النعيم) دون جنات الخلود ونحوه.

و(ثلة من الأولين ، وقليل من الآخرين) اعتراض بين قوله (فى جنات النعيم) وقوله (على سرر موضونة) فائدته التنويه بصنف(السابقون) وتفضيلهم بطريق الكناية عن ذلك بلفظى (ثلة وقليل) المشعرين بأنهم قُلٌّ من كثر فيلزم من ذلك أنهم صنف عزيز نفيس لما عهد فى العرف من قلة الأشياء مع بشارة المسلمين بأن خطهم فى هذا الصنف كحظ المؤمنين السابقين.

و(ثلة) خبر لمبتدأ محذوف للعلم به، أى هم ثلة . وبين ثلة) و (قليل) طباق للإشعار بأن الثلة أكثر.

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ
عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا
يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا
يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا
سَلَامًا ﴿٢٦﴾ ﴾

تفسير المفردات:

موضونة : من الوضن وهو النسج.

مخلدون: مبقون على هذه الصفة. وقيل مقرطون من الخلدة: وهو القرط [1].

أباريق : جمع إبريق : وهو إناء له خرطوم .

كأس من معين : أى خمر جارية من العيون، والمراد أنها لم تقصر كخمر الدنيا.

لا يصدعون عنها : لا يلحقهم صداع بسببها كما يحدث ذلك فى خمر الدنيا .

(١) انظر: تفسير الما..ى، ونسب هذا الرأى إلى الفراء ٥/ ٤٤٩.

ولا ينزفون : لا تذهب عقولهم بالسكر منها .

يتخيرون : يختارون ويرضون .

حور : واحدتهن : حوراء : بيضاء.

عين : جمع عيناء : واسعة العينين.

المكنون : المصون الذى لم تمسه الأيدى .

لغوا: هراء لا خير فيه .

تأثيماً : ما يقال حين سماعه : أوقعتم فى الإثم.

الشرح الإجمالى العام:

بعد أن ذكر أن الناس يوم القيامة أصناف ثلاثة: سابقون، وأصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة عقب ذلك بتفصيل ما يتمتع به السابقون من النعم فى فرشهم وطعامهم وشرابهم ونسائهم وحديثهم الذى يدل على صفاء النفس، وأدب الخلق وسمو العقل وهم جماعة كثيرة من سالف الأمم وقليل من الأمة المحمدية ويستأنس لذلك بقول الرسول ﷺ : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة . فلهم سرر منسوجة من الذهب مسبكة بالدرر والياقوت يتكئون عليها، وينظرون إلى وجوه بعض ، فهم فى صفاء ورغد عيش وحسن معاشرة، ولا يوجد فى نفوسهم من الشحناء والبغضاء ما يوجب الافتراق .

ثم ذكر ماهم فيه من الترف والنعيم، فهم مخدومون فى شرابهم

وطعامهم، فيطوف عليهم غلمان وخدم بأدوات الشرب كاملة من أكواب وأباريق وخمر تجرى من العيون نقية صافية يأخذون منها مايريدون، ولا صداع فى شرابها، ولا ذهاب عقل بسببها.

ثم وصف الطعام، فيطوف عليهم بألوان من الفاكهة المختلفة المطاعم يختارون منها ما تميل إليه نفوسهم، وبأنواع من لحوم الطير مما لذ وطاب، فيأخذون منها ما يشاءون ويشتهون .

وبعد أن ذكر شرابهم وطعامهم عقبة بذكر نسائهم، ولهم نساء بيضاء عيناء يتمتعون بها وهذه النساء تبدو عليهن نضرة النعيم وكأنهن اللؤلؤ المكنون صفاء وبهجة.

ثم ذكر السبب فى متعتهم بكل هذه النعم، فهذا جزاؤهم بما عملوا فأثابهم الله بما كسبوا فى الدنيا.

وبعد وصف النساء وصف حديثهم حينئذ ، فلا يسمعون اللغو الهراء من الحديث، ولا هجر القول، وما تتقزز منه النفوس الراقية ذات الأخلاق العالية، ولكن يسمعون أطيب السلام وسامى الكلام .

التحليل البلاغى :

الغرض من الإخبار فى هذه الآيات التبشير ببعض ما لهم من النعيم مما تشتاق إليه النفوس فى هذه الحياة لتشويقهم إلى هذا المصير، فيسعوا لنواله بصالح الأعمال، والمذكور من النعم فى هذه الآيات ليس حصرا للنعم، لأن فى الجنة كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

(على سرر موضونة) تنكير (سرر) للتعظيم وفى (موضونة) مجاز، لأنها من الوضن وهو نسج الدرع ثم استعير لمطلق النسج، أو النسج المحكم، وعلى هذا شبه وضن السرير بوضن الدرع ونحوه بجامع الأحكام والمتانة، ثم استعير المشبه به للمشبه واشتق منه (موضونة).

(متكئين عليها متقابلين) فى (متقابلين) كناية عن الأنس بالأصحاب وحسن الحديث معهم، لأنه يلزم من التقابل ألا ينظر أحدهم فى قفا صاحبه، وهذا يدل على حسن العشرة، وتهذيب الأخلاق ، ورعاية الآداب ، وصفاء البواطن.

(يطوف عليهم ولدان مخلدون) فسر (مخلدون) بمبقون أبدا على شكل الولدان، وفسر بمعنى مقرطون بالأقراط، والقرط يسمى خلده بضم الخاء وسكون اللام، وبفتح الخاء واللام وجمعه خلده كقردة والأخير هو الأنسب ، لأن كل من فى الجنة مخلد، ولأن العرب كانوا يحسنون غلمانهم بالأقراط فى الآذان. وعلى التفسير الأخير

يكون فيه تورية (١).

والفعل (يطوف) يدل على التجدد والحدوث فالطواف مستمر دائم فى كل الأوقات.

(بأكواب وأباريق وكأس من معين) جمع أكواب وأباريق يدل على أن المراد بالكأس الجنس الذى يصدق على الواحد والمتعدد، فالمراد كؤوس كثيرة فأوثرت صيغة المفرد لأن فى لفظ كؤوس ثقلا بوجود همزة مضمومة فى وسطه مع ثقل صيغة الجمع.

و(معين) يدل على الكثرة، فالخمر لكثرتها تجرى فى المجارى كما يجرى الماء وليست قليلة عزيزة ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾(٢).

(لا يصدعون عنها ولا ينزفون) عبر بالفعلين المضارعين ليدلا على الاستمرار، استمرار عدم التصديع وعدم النزف.

(وفاكهة مما يتخيرون. ولحم طير مما يشتهون) تقديم ذكر الفاكهة على ذكر اللحم قد يكون لأن الفواكه أعز فى الدنيا، وبهذا يظهر وجه المخالفة بين الفاكهة ولحم طير، فجعل التخير للأول، والاشتهاء للثانى، ولأن الاشتهاء أعلق بالطعام منه بالفواكهة، فلذة الشاهية بالطعام لذة زائدة على لذة حسن طعمه، وكثرة التخيير للفاكهة هى لذة تلوين الأصناف(٣) وللإشارة إلى أنهم ليسوا بحالة تقتضى تقديم اللحم كما

(١) روح المعانى ٢٧/ ١٣٦. (٢) سورة محمد من الآية : ١٥.
(٣) التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٩٥.

فى الجائع فإن حاجته إلى اللحم أشد من حاجته إلى الفاكهة، واختيارها كما فى الشبعان فإنه إلى الفاكهة أميل منه إلى اللحم، أو لأن عادة أهل الدنيا ولا سيما أهل الشراب منهم تقديم الفاكهة فى الأكل.

ويجوز أن تخصيص التخير بالفاكهة لكثرة أنواعها واختلاف طعومها وأشكالها والتعبير بـ(يتخيرون) دون يختارون إشارة رلى أنهم يأخذون منها ما يكون فى نهاية الكمال.

(وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون).

يجوز فى (حور) أن يكون مبتدأ حذف خبره، أى لهم حور، والحذف هنا لتعجيل المسرة، وقرأ حمزة والكسائى وأبو جعفر بالكسر فيهما، (حور عين) عطفا على أكواب عطف معنى من باب قول الشاعر:

(وزججن الحواجب والعيونا) بتقدير وكحلن العيون أو عطف على (جنات) أى وفى حور عين هم، أى محاطون بحور عين، ومحدقون بهن (١) وكأنه قيل هم فى جنات النعيم وفاكهة ولحم ومصاحبة حور على تشبيه مصاحبة الحور بالظرف على طريقة الاستعارة المكنية(٢).

وفى الآية تشبيه مرسل مجمل خذف منه وجه الشبه، أى كأمثال

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٩٦.
(٢) انظر روح المعانى ٢٧/ ١٣٨.

اللؤلؤ المكنون فى بياضه وصفاته.

وتقييد اللؤلؤ بالمكنون لأنه أصفى وأبعد عن التغيير.

(جزاء بما كانوا يعملون) انتصب جزاء على المفعول لأجله لفعل محذوف دل عليه قوله (المقربون) أى أعطيناهم على ذلك جزاء. ويجوز أن يكون جزاء مصدرا جاء بدلا عن فعله، والتقدير جازيناهم جزاء فعلى التقديرين فيه إيجاز بالحذف.

وفى قوله (لا يسمعون فيها لغو ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما).

فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم وبهذا تكون اكتملت أنواع النعيم والمتع للسابقين، فعدم سماع اللغو والتأثيم نعمة روحية، فإن سلامة النفس من سماع مالا يجب سماعه ومن سماع ما يكره سماعه من الأذى نعمة براحة البال.

أنواع نعيم أصحاب اليمين

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨)
وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ
لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ (٣٢) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ
إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨)
ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ (٤٠) ﴾.

شرح المفردات:

السدر: شجر النبق - مخضود: أى خضد شوكه، أى قطع.

الطلح: شجر الموز وقيل شجر من شجر العضاة وقيل شجرة توجد فى اليمن والحجاز كثيرا تسمى طلحة.

منضود: نضد حمله من أسفله إلى أعلاه فليست له سوق بارزة.

ممدود: منبسط ممتد لا يتقلص ولا يتفاوت.

مسكوب: مصبوب، يسكب لهم كما يشاءون بلا نصب ولا تعب.

فرش: واحدها فراش كسرج وسراج.

مرفوعة: عالية منضدة.

عربا: واحدتهن عروب، وهى المحببة إلى زوجها.

أترابا : متساويات فى السن جمع ترب.

الشرح العام :

بعد أن ذكر حال السابقين ، وبين حالهم من نعيم مقيم فى جناب النعيم أردف ذلك بذكر حال أصحاب اليمين فبين أنهم فى جنات يتخللها السدر الذى قطع شوكه، وفيها الموز الذى ملئ ثمراً فلا تظهر له سيقان، وفيها ظل ظليل ، وفيها ماء مصبوب لا يحتاج أهلها إلى تعب للحصول عليه، وفيها ضروب من الفاكهة التى لا تنقطع أبداً ولا تمتنع عنهم فى وقت فهم يجدونها متى شاءوا وأحبوا، ثم ذكر ما يتمتعون به من الفرش فبين أنهم يجلسون على فرش وثيرة عالية لا تتعب الجالس عليها.

وبعدئذ ذكر ما يتمتعون به من النساء.

فبين أنه سبحانه وتعالى أعد لهم من النساء أبكارا متحببات إلى أزواجهن، إذ هن يحسن البعل. كلهن فى سن واحدة، لا تمتاز واحدة عن الأخرى ، وأعطاهن سبحانه وتعالى لأصحاب اليمين الذين هم جماعة من الأمم السالفة وجماعة من مؤمنى أمة محمد ﷺ (١).

(١) انظر تفسير الماوردى ٥/ ٤٥٤.

التحليل البلاغى :

(وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) عطف على جملة (أولئك المقربون) عطف القصة على القصة .

وجملة (ما أصحاب اليمين) خبر عن (أصحاب اليمين).

و (ما) استفهامية للتعجب والتفخيم وإظهار لفظ (أصحاب اليمين) بعد الاستفهام دون ضميرهم لأن مقام التعجب والتفخيم يقتضى الإظهار .

وعبر عنهم بـ (أصحاب اليمين) وهناك بـ (أصحاب الميمنة) للتفنن (١) وقيل الحكمة فى ذلك أن فى الميمنة، وكذلك المشامة دلالة على الموضع والمكان، والأزواج الثلاثة فى أول الأمر يتميزون بعضهم من بعض ويتفرقون بالمكان فجئ بلفظ يدل على المكان أولاً وفيما بعد يكون التمييز والتفرق بأمرهم، فلذا لم يؤت باللفظ ثانيا (٢).

وقوله (فى سدر مخضود) إما خبر ثان ، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم، وحذفه للعلم به، والجملة بيان لما أبهم فى قوله(ما أصحاب اليمين) من علو الشأن .

والظرفية (فى) مجازية للمبالغة فى تمكنهم من الانتفاع بما ذكر.

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٩٨.

(٢) روح المعانى ٢٧/ ١٤٠.

وقوله (وطلح منضود) فسر الطلح بأنه شجرة توجد فى اليمن والحجاز تسمى طلحة (١) فالامتنان به لكثرة نواره الذى هو طيب الرائحة، كما أن له ظل رطب .

وفسر بالموز ، والامتنان به امتنان بثمره وحسن منظره .

(وظل ممدود) الظل الممدود يدل على التفاف أشجار الجنة وكثرتها .

(وماء مسكوب) سكب الماء : صبه ، والمراد : ماء أنهار الجنة، وعلى هذا ففيه استعارة تبعية ، شبه جرى الماء بقوة بسكب الماء، واستعار المشبه به للمشبه، واشتق منه(مسكوب) بمعنى مجرى.

ووصف الفاكهة بأنها كثيرة يدل على أنها متنوعة الأشكال والألوان والأذواق، كما أن وصفها بـ(لا مقطوعه ولا منوعة) لبيان أنها دائمةمبذولة لهم، والنفى هنا أوقع من الإثبات لأنه بمنزلة وصف وتوكيده.

(وفرش مرفوعة) يجوز أن يكون المراد من الفرش الأسرة من تسمية الشئ باسم ما يحل فيه (٢) مجاز مرسل علاقته الحالية .

ويجوز أن يكون المراد النساء فهو كناية كما كنى عنها باللباس،

---

(١) انظر تفسير الماوردى ٥/ ٤٥٤.

(٢) انظر التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٠٠.

ويؤيد ذلك قوله تعالى بعد ذلك (إنا أنشأناهن إنشاء) لأن الضمير فى الأغلب يعود على مذكور متقدم، وليس إلا الفرش، ولا يناسب العود عليه إلا بهذا المعنى، والاستخدام بعيد هنا .

وجاء قوله (إنا أنشأناهن إنشاء) مؤكد بـ (إن) لأنه لما جاء ذكر الفرش يخطر بالبال بادئ ذى بدء مصاحبة نساء فى تلك الفرش فتتشوق النفس إلى وصفهن فكانت جملة (إنا أنشأناهن إنشاء) بيانا. لأن الخاطر بمنزلة السؤال عن صفات الرفيقات .

وجاء قوله : (فجعلناهن أبكارا عربا أترابا) تفسيراً لما تقدم.

واللام فى قوله : (لأصحاب اليمين) يتنازعها (أنشأناهن) و(جعلناهن) لإفادة توكيد الإعتناء بأصحاب اليمين المستفاد من قوله : (وأصحاب اليمين ، ما أصحاب اليمين).

و(لأصحاب اليمين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر، فلم يقل لهم وذلك لطول العهد، أو للتأكيد والتحقيق.

(ثله من الأولين . ثلة من الآخرين).

آخر قوله هذا عن ذكر مالهم من النعيم للإشعار بأن عزة هذا الصنف وقلته دون عزة صنف السابقين، فالسابقون أعز، وهذه الدلالة من مستتبعات التراكيب المستفادة من ترتيب نظم الكلام

و(ثلة) خبر لمبتدأ محذوف ، أ ى هم ثلة، وحذف للعلم به.

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

تفسير المفردات :

السموم : حر شديد ينفذ فى المسام.

الحميم : ماء شديد الحرارة .

يحموم : دخان أسود .

لا بارد ولا كريم : لا بارد المدخل ولا كريم المخرج. أو لا كرامة فيه لأهله، أو لا طيب ولا نافع (١).

مترفين : منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلوون على شئ مما جاء به الرسل فهم متكبرون عن قبول الحق.

(١) النكت والعيون تفسير الماوردى ٥ / ٤٥٧.

يصرون : يقيمون ولا يقلعون .

الحنث العظيم: الذنب العظيم وهو الشرك بالله وجعل الأوثان أربابا من دون الله.

ميقات : ما وقت به الشئ، والمراد به يوم القيامة، وسمى به لأنه وقتت به الدنيا.

شجر الزقوم : شجر ينبت فى أصل الجحيم.

الهيم : جمع أهيم: وهو الجمل الذى يصيبه الهيم وهو داء يشبه الاستسقاء يصب الإبل فتشرب حتى تموت أو يسقم سقما شديدا.

النزل: ما يقدم للضيف إذا نزل مكرمة له .

يوم الدين : يوم الجزاء .

المعنى العام :

بعد أن ذكر سبحانه زوجين من الأزواج الثلاثة، وبين ما يلقاه كل منهما من عز مقيم وشرف عظيم فى جنات النعيم فى جملة شئونهم أردف الزوج الثالث وبين ما يلقاه من النكال والوبال وسوء الحال.

فبين أن أصحاب الشمال فى حال لا يستطاع وصفها ولا يقدر قدرها من النكال وسوء المنقلب، فهم فى حر ينفذ فى المسام وماء متناه فى الحرارة وظل من دخان أسود لا يطيب الهبوب، ولا حسن المنظر،

لأنه دخان من سعير جهنم يؤلم من يستظل به، فالسموم تضر بهم فيعطشون فيشربون ماء يقطع أمعاءهم ، ويريدون الاستظلال بظل فيكون من ظل الحميم .

ثم ذكر السبب فى تعذيبهم بأنهم كانوا فى الدنيا منعمين بألوان من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين فى الشهوات وأنهم كانوا ينكرون هذا اليوم فمع أنهم كانوا ينعمون بوافر النعم وجزيل المنن أصروا على كفرهم ، ولم يشكروا أنعم الله عليهم فاستحقوا عقاب الله، وكانوا مكذبين هذا اليوم مستبعدين وقوعه.

وقد جرت سنة القرآن الكريم أن يذكر سبب العقاب ولا يذكر أسباب الثواب أحيانا، لأن الثواب فضل والفضل إن ذكر سببه أو لم يذكر لا يتوهم فى المفضل به نقص ولا ظلم، أما العدل فإن لم يعلم سببه فربما يظن أنه ضرب من الظلم .

وقد ذكر المشركون لاستبعاد هذا البعث أسبابا:

الحياة بعد الموت ، وطول العهد بعد الموت حتى صارت اللحوم ترابا والعظام رفاتا، وبلغ الأمر منهم أنهم قالوا متعجبين : أو يبعث آباؤنا الأولون. فرد الله عليهم كل هذا ، فأمر رسوله ﷺ أن يجيبهم قائلا لهم : إن الأولين الذين تستبعدون بعثهم أشد والآخرين الذين تظنون أنهم لم يبعثوا ليجمعوا فى صعيد واحد فى ذلك اليوم المعلوم)، ولا شك أن اجتماع عدد لا يحصى كثرة أعجب من البعث نفسه.

ثم بين ما يلقاه هؤلاء المكذبون من الجزاء فى مأكلهم ومشربهم، فهؤلاء المكذبون المصرون على الذنب العظيم، فلم يوحدوا الله، ولم يفعلوا ما يوجب تعظيمه، وكذبوا رسله فأنكروا البعث ، هؤلاء يأكلون من شجر من زقوم فيملئون منه البطون ثم يشربون بعد ذلك من ماء حار لغلبة .

التحليل البلاغى :

(وأصحاب الشمال) عبر عنهم بـ (بأصحاب الشمال) وهناك بـ(أصحاب المشأمة) لما ذكر فى (وأصحاب اليمين).

وجملة (ما أصحاب الشمال) فى محل رفع خبر عن (وأصحاب الشمال) و (ما) استفهامية للتعجب والتكم.

ووضع المظهر (أصحاب الشمال) موضع المضمر ، فلم يقل ماهم ، لأن مقام التعجب والتشهير والتهكم يقتضى الإظهار.

وقوله (فى سموم) جملة إما خبر ثان ، أو خبر لمبتدأ محذوف للعلم به، والجملة بيان لما أبهم فى قوله (ما أصحاب الشمال).

والظرفية (فى) مجازية للمبالغة فى تمكنهم من السموم، أى أن السموم محيط بهم كما يحيط الظرف بالمظروف.

(وظل من يحموم) (من) هنا بيانية إذا الظل هنا أريد به نفس اليحموم.

ووصف (الظل) بأنه (من يحموم) للإشعار بأنه ظل دخان جهنم وذكر من الدخان ظله لمقابلته بالظل الممدود المعد لأصحاب اليمين، أى لا ظل لأصحاب الشمال سوى ظل اليحموم، وهذا من قبيل التهكم.

ووصف (لا بارد ولا كريم) يحقق معنى التهكم، فهذه الصفة لها وصف خاص وهو انتفاء البرودة وله وصف عام وهو انتفاء كرامة الظلال وفى نفى محاسن الظلال تذكير للسامعين بما حرم منه أصحاب الشمال. ولإفادة هذا التذكير عدل عن وصف الظل بالحرارة والمضرة إلى وصفه بنفى البرد ونفى الكرم لأن للنفى شأنا ليس للإثبات(١).

وذكر فى عقاب أصحاب الشمال السموم والحميم، ولم يذكر النار إشارة بالأدنى إلى الأعلى فإن هواءهم إذا كان سموما وماءهم إذا كان حميما مع أن الهواء والماء من أبرد الأشياء وأنفعها فما ظنك بنارهم فكأنه قال : إن أبرد الأشياء لديهم أحرها فما بالك مع أحرها ؟

وقوله (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب وفى تعليل الابتداء بالعذاب اهتمام بدفع توهم الظلم فى التعذيب.

فما تضمنه هذا التعليل كان من أحوال كفرهم، وأنه مما له أثر فى إلحاق العذاب بهم بقرينة عطف (وكانوا يصرون على الحنث العظيم).

و(مترفين) بمعنى متكبرين عن قبول الحق، وبناؤه للمجهول لعدم الإحاطة بالفاعل الحقيقى للإتراف كالأفعال التى التزم فيها الإسناد

المجازى العقلى الذى ليس لمثله حقيقة عقلية (ولا يقدر بنحو أترفه لأن العرب لم يكونوا يقدرون ذلك، فهذا من باب قال قائل، وسأل سائل)(١).

وصيغة المضارع فى قوله تعالى : (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) تفيد تكرر الإصرار والقول منهم وذكر فعل (كانوا) لإفادة أن ذلك ديدنهم .

والاستفهام فى قوله : (كانوا يقولون أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون) للإنكار ، أى يستبعدون ويستحيلون، وتكراره توكيد للاستبعاد .

(قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم).

هذا خطاب لهم بتحقق وقوع البعث ، وشموله لهم ولآبائهم ولجميع الناس لذا افتتح الكلام بالأمر بالقول للاهتمام به .

وتقديم (الأولين) للمبالغة فى الرد حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشد من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى.

و(مجموعون) يدل على أن البعث للناس جميعا، وليس البعث على أفواج فى أزمان مختلفة كما كان موت الناس، بل يبعث الأولون والآخرين فى يوم واحد، وهذا إبطال لما اقتضاه عطف(أو آباؤنا

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٠٦.

الأولون) فى كلامهم من استنتاج استبعاد البعث، لأنهم عدوا سبق من سبق موتهم أدل على تعذر بعثهم، لذا جاء التأكيد بـ (إن) واللام لرد إنكارهم مضمونه.

و (مجموعون)ضمن معنى مسوقون فتعلق به مجروره بحرف (إلى) التى للانتهاء وإلا فإن (مجموعون) يعدى بحرف (فى).

وأفاد تعليق مجروره به بواسطة (إلى) أنه مسير إليه حتى ينتهى إليه فدل على مكان وهذا من الإيجاز.

وبين (الأولين) و (الآخرين) طباق يفيد عموم البعث وشموله لكل الناس.

(وإضافة (ميقات) إلى (يوم معلوم) لأن التجمع واقع فى ذلك اليوم وإذا كان التجمع الواقع فى يوم واقع فى ذلك الميقات كانت بين الميقات واليوم ملابسة صححت إضافة الميقات إليه لأدنى ملابسة)[١].

(ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم).

هذا عطف على (إن الأولين والآخرين) فهو من جملة ما أمر به النبى ﷺ أن يقوله لهم.

ووصفهم بأنهم ضالون مكذبون ناظر إلى قولهم (أئذا كنا ترابا وعظاما .... الخ).

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٠٩.

وقدم وصف (الضالون) على وصف (المكذبون) مراعاة لترتيب الحصول ، لأنهم ضلوا عن الحق فكذبوا بالبعث.

والتأكيد بـ (إن) واللام لتقرير مضمون الخبر، لأن هذا الأكل من شجر العذاب ، فهو أكل لا يطاق، ولكن شدة الجوع اضطرهم وقسرهم على أكل ذلك قسرا.

وأفاد قوله (فمالئون منها البطون) تفظيع حالهم فى جزائهم على ماكانوا عليه من الترف فى الدنيا بملء بطونهم بالطعام.

(فشاربون عليه من الحميم) الفاء عطف على (لأكلون) لإفادة تعقيب (أكل الزقوم) بشرب الحميم دون فترة واستراحة ، وهذا أشد فى التعذيب.

وفى قوله (فشاربون شرب الهيم) تشبيه ، وإعادة فعل (فشاربون) للتأكيد زيادة تقرير مافى هذا الشرب من الأعجوبة، وهى أنه مع كراهته يزدادون منه، فإن كونهم شاربين الحميم أمر عجيب، وشربهم له كما تشرب الهيم فى الإكثار أمر عجيب أيضا.

وقوله (هذا نزلهم يوم الدين) اعتراض بين جمل الخطاب موجه إلى السامعين غيرهم. وهو تشبيه تهكمى ، شبه هذا وهو إشارة إلى ماذكر من أكل الزقوم وشرب الحميم كشرب الهيم بالنزل وهو ما يقدم للضيف من طعام وشراب .

وجعل يوم الدين وقتا لنزلهم مؤذن بأن ذلك الذى عبر عنه بالنزل جزاء على أعمالهم .

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ
تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ
بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١)
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣)
أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ
تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ
الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ
نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١)
أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا
لِّلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾ .

تفسير المفردات :

تمنون : تقذفونه فى الأرحام من النطف.

تخلقونه : تقدرونه وتصورونه بشرا سويا تام الخلق.

قدرنا: قسمنا ووقتنا موت كل واحد بوقت.

نبدل أمثالكم : نميتكم دفعة واحدة ويخلق أشباهكم.

فيما لا تعلمون : من الخلق والأطوار التى لا تعهدونها.

فلولا تذكرون : فهلا تتذكرون ذلك .

تحرثون : تبذرون حبه وتعملون فى أرضه.

تزرعونه : تنبتونه، وتجعلونه نباتا يرف.

حطاما: هشيما متكسرا متفتتا لشدة يبسه بعد ما أنبتناه.

تفكهون : تتعجبون من سوء حالة وتحزنون وتندمون ويجوز أن يكون بمعنى الفرح والسرور.

مغرمون: معذبون مهلكون من الغرام وهو الهلاك.

محرومون : غير مجدودين فليس لنا جد وحظ.

المزن : السحاب . واحدته مزنة.

أجاجا: ملحا زعاقا لا يصلح لشرب ولا فى زرع.

لولا : بمعنى هلا وهى كلمة تفيد الحث على فعل ما بعدها.

تورون : تقدحونها وتستخرجونها بزنادكم من شجر أو حديد أو حجر.

المنشئون : المحدثون .

تذكرة: تذكيرا بالبعث ، وتبصرة للناس من الظلام وتذكرة لنار الآخرة .

متاعا: منفعة .

للمقوين : أى المسافرين الذين يسكنون القواء أى القفر والمفاوز.

فسبح : أى تعجب من أمرهم ، وقل سبحان الله .

المعنى العام:

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى الأزواج الثلاثة ومآل كل منها أردف ذلك بإقامة الأدلة والبراهين الإلهية من خلق ورزق وطعام وشراب.
وأقام الدليل على البعث والجزاء فبين سبحانه وتعالى أنه هو الذى خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا، أفليس الذى خلقهم أول مرة من عدم بقادر على الإعادة، فهلا يصدقون بالبعث؟

ثم أفحمهم، فطلب منه أن يخبروه عما يقذفون فى الأرحام هل هم يقدرونه بشرا سويا تام الخلق أم الله ؟ ولا شك أنهم لم يجدوا إجابة سوى أن الله هو الخالق وحده .

ثم بينت الآيات أن الله هو الذى قسم الموت بين عباده ووقت موت كل واحد بميقات معين لا يعدوه بحسب ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة، والله سبحانه وتعالى لا يعجز عن أن يذهبهم ويأتى بأشباههم من الخلق فينشئهم فيما لا يعلمون من الأطوار والأحوال التى لا يعهدونها.

ثم ذكر دليلا آخر على البعث هو :

لقد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ولا تتذكرون أن الذى

قدر على هذه النشأة قادر على النشأة الأخرى وهى الإعادة.

ثم جاء بدليل آخر فى الرزق فى المطعوم هو :

الحرث الذى تحرثونه هل هم الذين ينبتونه ويصيرونه زرعا أم الله الواحد القهار، فلو أراد الله لأيبسه قبل استوائه واستحصاده فأصبح لا ينتفع به فى مطعم ولا غذاء فصرتم تعجبون من سوء حاله إثر ما شاهدتم فيه من خضرة ونضارة وبهجة وتقولون : حقا إنا لمعذبون مهلكون لهلاك أرزاقنا، بل هذا أمر قدر علينا لنحس طالعنا وسوء حظنا.

ثم أعقبه بدليل آخر فى المشروب هو :

الماء العذب الذى يشربونه هل هم أنزلوه من السحاب الذى فوقهم إلى الأرض أم الله المنزل ؟

ثم تذكر الآيات أن الله سبحانه وتعالى لو شاء لجعله ملحا أجاجا لا ينتفعون به فى شرب ولا فى غرس ولا فى زرع، فهلا شكروا ربهم على إنزاله المطر عذبا فراتا زلالا.

ثم أعقب ذلك بنعمة النار وتذكرتها لنا بنار جهنم :

فذكر سبحانه وتعالى أن يخبروه عن أمر النار التى يقدحونها ويستخرجونها من الزناد هل هم الذين أنشأوا شجرتها التى منها الزناد أم الله الخالق الوهاب ؟

ثم بينت الآيات أن الله سبحانه وتعالى جعل النار تبصرة فى أمر البعث حيث علق بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا بها ما أوعدوا به لأن من أخرج النار من الشجر الأخضر المضاد لها قادر على إعادة ما تفرقت مواده، ثم إن هذه النار منفعة لمن ينزلون القواء والمفاوز من المسافرين، فكم من قوم سافروا ثم أرملوا فأججوا نارا فاستدفئوا وانتفعوا بها .

فالذى خلق هذه الأشياء بقدرته، فخلق الماء العذب البارد، ولو شاء لجعله أجاجا، وخلق النار وجعلها تذكرة وفيها منافع فى معايشتهم يستحق التنزيه فتنزهه (فسبح باسم ربك العظيم).

التحليل البلاغى :

(نحن خلقناكم فلولا تصدقون)

لم تعطف هذه الآية على قوله (إن الاولين والآخرين لمجموعون) لأن موقعها استدلال وعلة لمضمون جملة (إن الأولين ... . الخ)

وتقديم المسند إليه (نحن) على المسند الفعلى لإفادة تقوى الحكم ردا على إحالتهم أن يكون الله قادرا على إعادة خلقهم بعد فنائهم.

(أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون).

الاستفهام للتقرير بتعيين خالق الجنين من النطفة إذ لا يسعهم إلا أن يقروا بأن الله خالق النسل من النطفة، وذلك يستلزم قدرته على إعادة الخلق .

وابتدئ الاستدلال بتقديم جملة (أأنتم تخلقونه) زيادة من إبطال شبهتهم إذ قاسوا الأحوال المغيبة على المشاهدة فى قلوبهم لا نعاد بعد أن كنا ترابا وعظاما، فقوله (أأنتم تخلقونه) تمهيد للاستدلال على أن الله هو خالق الأجنة بقدرته وأن تلك المقدرة لا تقتصر عن الخلق الثانى عند البعث (١).

وتقديم المسند إليه على المسند الفعلى فى قوله (أأنتم تخلقونه)

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٢٧/ ٣١٣.

لإفادة التقوى.

وقد حصل من نفى الخلق عنهم وإثباته لله تعالى معنى قصر الخلق على الله تعالى.

وأعيد الخبر فى قوله (أم نحن الخالقون) والغالب ألا يذكر لأن (أم) متصلة معادلة الهمزة، وما بعدها معطوف فلا يذكر له خبر زيادة فى تقرير إسناد الخلق إلى الله فى المعنى، وللإيفاد بالفاصلة.

(نحن قدرنا بينكم الموت ....)

استدلال بإماتة الأحياء على أنها مقدورة لله تعالى ضرورة أنهم موقنون بها، والقدرة على حصول شئ تقتضى القدرة على ضده، وفيه تنبيه على أن الموت جعله الله طورا من أطوار الإنسان لحكمة انتقاله إلى الحياة الأبدية بعد إعداده لها بما تهيئه له أسباب الكمال المؤهلة لتلك الحياة.

وتقديم المسند إليه على المسند الفعلى لإفادة تقوى الحكم وتحقيقه، والتحقيق راجع إلى ما اشتمل عليه التركيب من فعل (قدرنا) وظرف (بينكم) فى دلالتها على ما فى خلق الموت من الحكمة.

وفى كلمة (بينكم) إيماء إلى أن الموت يأتى على آحادهم تداولا وتناوبا، فكلمة (بين) تؤذن بأن الموت كالشئ الموضوع للتوزيع ولا يدرى أحد متى يصيبه قسطه منه، وبهذا كان فى قوله: (بينكم الموت)

استعارة مكنية شبه الموت بمقسوم، وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه.

وهو كلمة (بينكم) الشائع استعماله فى القسمة، قال تعالى: ﴿أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾(1)، وتوحى هذه الاستعارة بأن الموت فيه فائدة ومصلحة للناس فى الدنيا والآخرة، فى الدنيا لئلا تضيق بهم الأرض والأرزاق، وفى الآخرة فللجزاء والوفاق.

وقوله (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) نتيجة لما سبق من الاستدلال على أن الله قادر على الإحياء بعد الموت فمقتضى الظاهر أن يأتى بالفاء ويترك العطف ولكنه عطف بالواو عطف الجمل فتكون جملة مستقلة، لأن مضمونها يفيد النتيجة ويفيد تعليما اعتقاديا فيحصل الإعلام به تصريحا وتعريضا، فالتصريح التذكير بتمام قدرة الله وأنه لا يغلبه شئ وتعريضا بالتهديد باستئصالهم وتعويضهم بأمة أخرى.

والسبق فيه استعارة تبعية، شبه الغلبة بالسبق، واستعار المشبه به للمشبه واشتق منه (مسبوقين) بمعنى مغلوبين، لأن السبق يستلزم أن السابق غالب للمسبوق فالمعنى وما نحن بمغلوبين.

(وننشئكم فيما لا تعلمون) عطف على (أن نبدل أمثالكم) للتوسط بين الكمالين مع عدم المانع، وعطف بالواو دون الفاء لأنه

---

(1) سورة القمر من الآية: ٢٨.

بمفرده تصوير لقدرة الله تعالى وحكمته بعد ما أفاد قوله (أن نبدل أمثالكم) من إثبات أن الله قادر على البعث .

والظرفية المستفادة من (فى) ظرفية مجازية معناها قوة الملابسة المشبهة بإحطاة الظرف بالمظروف .

(ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون)

فى هذه الآية دليل من قياس التمثيل، وهو تشبيه النشأة الثانية بالنشأة الأولى المعلومة عندهم بالضرورة، فنبهوا ليقيسوا عليه النشأة الثانية فى إنها إنشاء من أثر قدرة الله تعالى وعلمه .

وبين قوله (فيما لا تعلمون) وقوله (ولقد علمتم النشأة الأولى) طباق السلب.

وجئ بالمضارع فى قوله (تذكرون) للتنبيه على أن باب التذكر مفتوح، فإن فاتهم التذكر فيما معنى فليداركوه الآن .

(أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون).

(الآيتان تومئان لتمثيل خلق الأجسام خلقا ثانيا مع الانتساب بين الأجسام البالية والأجسام المجددة منها بنبات الزرع من الحبة التى هى منتسبة إلى سنبلة زرع أخذت هى منها فتأتى هى بسنبلة مثلها)(١).

ومناسبة الانتقال من الاستدلال بخلق النسل إلى الاستدلال

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٢٠.

بنبات الزرع هى التشابه البين بين تكوين الإنسان النبات، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾(١).

والاستفهام فى (أأنتم تزرعونه) إنكارى .

وجملة (أأنتم تزرعونه) بيان لجملة (أفرأيتم ما تحرثون).

وذكر المسند بعد (أم) فى قوله تعالى (أم نحن الزارعون) والغالب ألا يذكر لأن (أم) متصلة معادلة الهمزة وما بعدها معطوف فالغالب ألا يذكر له خبر اكتفاء بدلالة خبر المعطوف عليه ، وذكر هنا لزيادة تقرير إسناد الزرع إلى الله فى المعنى وللإيفاء بالفاصلة.

وقدم المسند إليه على المسند الفعلى فى قوله (أأنتم تزرعونه) لإفادة التقوى .

(لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون. إنا لمغرمون. بل نحن محرمون).

حذف فعل المشيئة (لو نشاء) للإبهام ثم البيان ليكون أوقع فى النفس .

واللام فى (لجعلناه) للتأكيد .

والفعل (تفكهون) يجوز أن يكون على ظاهره بمعنى الفرح والسرور مأخوذ من مادة (فكه) والمشهور أن هذه المادة تدل على المسرة

سورة نوح الآية : ١٧ .

والفرح، ويكون تهكما بهم حملا لهم على معتاد أخلاقهم من الهزل بآيات الله ، وقرينة التهكم ما بعده من قوله عنهم (إنا لمغرمون بل نحن محرومون).

ويجوز أن يكون بمعنى تندمون وتحزنون على أن الفعل (تفكهون) من (تفكه) بمعنى أكل الفاكهة، وهو من الأضداد فيقال (تفكه) أكل الفاكهة، وتجنب عن الفاكهة. ذكر ذلك صاحب القاموس.

أما جملة (إنا لمغرمون) خبر أريد به الندم والحسرة، وهى جملة مقول قول محذوف ففيه إيجاز.

(أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون).

مناسبة الانتقال من الآية السابقة إلى هذه الآيات واضحة. فالاستدلال انتقل من تكوين النبات إلى الاستدلال بتكوين المياه التى بها حياة الزرع والشجر.

ووصف الماء بـ (الذى تشربون) تذكير لهم بهذه المنة. فشرب الماء من أعظم المنن على الإنسان ليقابل بعد ذلك (لو نشاء جعلناه أجاجا).

وخص الشرب بالذكر مع كثرة منافع الماء لأن الشرب أهم مقاصده المنوطة به .

وذكر الخبر فى قوله (أم نحن المنزلون) للغرض الذى ذكر فى قوله : (أم نحن الخالقون) وقوله (أم نحن الزارعون).

(لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون)

حذف مفعول المشيئة للإبهام ثم البيان حتى يكون له وقع فى النفس (جعلناه) جواب (لو) وجاء غير مقترن بلام التوكيد مع أنه اقترن بها فى قوله (لو نشاء لجعلناه حطاما) والجواب فيهما فعل ماض مثبت، فيذكر الطاهر بن عاشور تعليلا للاقتران وعدمه نقله عن الشيخ محمد بن سعيد الحجرى التونسى يقول (فإن قيل : لم أكد الفعل باللام فى الزرع ولم يؤكد فى الماء ؟ قلت لأن الزرع ونباته وجفافه بعد النضارة حتى يعود حطاما مما يحتمل أنه من فعل الزارع، أو أنه من سقى الماء وجفافه من عدم السقى فأخبر سبحانه أنه الفاعل لذلك على الحقيقة، وأنه قادر على جعله حطاما فى حال نموه لو شاء وإنزال الماء من السماء مما لا يتوهم أحد قدرة لغير الله)(١).

ويذكر الزمخشرى أن اللام لمجرد التأكيد، فأدخلت فى آية المطعوم دون المشروب للدلالة على أن أمره مقدم، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب تبع له، ألا ترى أن الضيف يسقى بعد أن يطعم... ويؤيد ذلك تقديمه على المشرب فى النظم الجليل (٢).

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٢٥.
(٢) انظر الكشاف ٤/ ٦١.

وابن الأثير يذكر رأيا له وجاهته وهو أن اللام أدخلت على المطعوم دون المشروب لأن جعل الماء العذب ملحا أسهل إمكانا فى العرف والعادة، والموجود من الماء المالح أكثر من الماء العذب، وكثيرا ما إذا جرت المياه العذبة على الأرض المتغيرة التربة أحالتها إلى الملوحة فلم يحتج فى جعل الماء العذب ملحا إلى زيادة تأكيد، فلذا لم تدخل لام التأكيد المفيدة لزيادة التحقيق .

وأما المطعوم فإن جعله حطاما من الأشياء الخارجة عن المعتاد وإذا وقع يكون عن سخط شديد .

فلذا قرن باللام لتقرير إيجاده ، وتحقيق أمره (1).

(أفرأيتم النار التى تورون. أأنتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشئون).

مناسبة الانتقال بخلق الماء إلى الاستدلال بخلق النار، فإن النار تخرج من الشجر بالاقتداح وتزكى بالشجر فى الاشتعال والالتهاب فالانتقال هنا مثل الانتقال إلى خلق الماء من الاستدلال بخلق الزرع والشجر.

وهذا الاستدلال يقرب كيفية الإحياء للبعث من حيث إن الاقتداح إخراج والزند الذى به إيقاد النار يخرج من أعواد الاقتداح وهى ميتة.

(1) انظر الكشاف ٤/ ٦١.

والفعل المضارع (تورون) يدل على التجدد والحدوث.

وذكر الخبر فى قوله (أم نحن المنشئون) للغرض الذى فى قوله (أم نحن الخالقون).

وتخصيص (المقوين) فى قوله (نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين) لأنهم أحوج إليها سواء أكان (المقوين) بمعنى المسافرين أم بمعنى الجائعين الذين يحتاجون إصلاح طعامهم .

(فسبح باسم ربك العظيم)

هذه الجملة تذييل ، لأن الله سبحانه وتعالى رتب على ما مضى من الكلام المشتمل على دلائل عظمة القدرة الإلهية وعلى أمثال التقريب تقريب البعث الذى أنكروا خبره، فذكر بعض جلائل النعم مدمجة فى أثناء ذلك فرتب على ما مضى أن أمر رسول الله ﷺ بأن ينزهه تنزيها خاصا معقبا لما تفضيه عليه تلك الأوصاف الجليلة الماضية من تذكر جديد يكون التنزيه عقبه ضربا من التذكر فى جلال ذاته والتشكر لآلائه.

والباء الداخلة على (اسم) زائدة لتوكيد اللصوق، أى اتصال الفعل بمفعوله وذلك لوقوع الأمر بالتسبيح عقب ذكر عدة أمور تقتضيه حسبما دلت عليه فاء الترتيب فكان حقيقيا بالتقوية والحث عليه (1).

(1) انظر التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٢٧:٣٣٨.

وهذا بخلاف قوله (سبح اسم ربك الأعلى ....) لوقوعه فى صدر جملته.

والأمر (سبح) شامل للمسلمين بقرينة أن القرآن متلو لهم .

إثبات النبوة وصدق القرآن

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ
(٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ
(٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (٨١)
وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) ﴾ .

تفسير المفردات :

فلا أُقْسِمُ: هذا قسم تستعمله العرب فى كلامها و(لا) صلة للتأكيد .

مواقِعِ النُّجُومِ : مساقط كواكب السماء ومغاربها .

مَكْنُونٍ : مصون عن التغيير والتبديل .

المُطَهَّرُونَ : المنزهون عن دنس الخطوط النفسية.

مُدْهِنُونَ : متهاونون كمن يدهن فى القول، أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه .

المعنى العام:

بعد أن ذكر الأدلة على الألوهية والبعث والجزاء أعقب هذا بذكر الأدلة على النبوة وصدق القرآن الكريم، وأقسم على هذا بما يرونه فى مشاهداتهم من مساقط النجوم إنه لكتاب كريم جم المنافع كثير الفوائد، فقد اشتمل على ما فيه صلاح البشرية فى دنياهم وآخرتهم، فلا يمس هذا القرآن الكريم إلا من هو على طهارة، فالقرآن منزل من

لدن رب العالمين ، فليس بسحر ولا بكهانة ولا بشعر فهو الحق الذى لا مرية فيه ، أفبهذا القرآن تتهاونون وتمالئون من يتكلم منه ولا تظهرون له المخالفة وعدم الرضا وتجعلون الشكر على هذا أنكم تكذبون بمن منح هذا الرزق فتنسبونه إلى الأنواء فإنكم تضعون الكذب مكان الشكر.

التحليل البلاغى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾.

(لا) فى (فلا) قيل إنها مزيدة للتأكيد ، وأصلها نافية تدل على أن القائل لا يقدم على القسم بما أقسم به خشية سوء عاقبة الكذب فى القسم، فالجملة بمعنى أقسم .

وبمعنى أنه غير محتاج إلى القسم لأن الأمر واضح الثبوت ثم كثر هذا الاستعمال فصار مرادا تأكيد الخبر فساوى القسم بدليل قوله بعد: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

وعلى الوجهين فهو إدماج للتنويه بشأن ما لو كان مقسما لأقسم به وعلى الوجه الثانى يكون قوله (وإنه لقسم) بمعنى، وإن المذكور لشئ عظيم يقسم به المقسمون، فإطلاق قسم عليه من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول كالخلق بمعنى المخلوق ، فالعلاقة الاشتقاقية (1).

وفيه آراء أخرى لا داعى لذكرها، لأنها آراء نحوية ليس من

(1) انظر التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٣٠، وروح المعانى ٢٧/ ١٥٢.

ورائها فوائد بلاغية.

وقيل (لا) حرف مستقل عن فعل (اقسم) وقاعا جوابا لكلام مقدر يدل عليه ما بعده من قوله تعالى (إنه لقرآن كريم) ردا على أقوالهم فى القرآن إنه شعر أو سحر أو أساطير الأولين، أو قول كاهن.

و(اقسم) استئناف.

ومهما يكن فإنه قسم أريد به رد إنكارهم للقرآن الذى أخبر بالبعث وكذبوه، وزعموا أن القرآن قول كاهن أو شاعر أو ساحر أو أساطير الأولين.

وذكر (مواقع) تنويه وتعظيم لأمرها لدلالة أحوالها على دقائق حكمة الله تعالى فى نظام سيرها، وبدائع قدرته على تسخيرها سواء كان معنى (مواقع النجوم) مكان وقوعها، أى محال وقوعها من ثوابت وسيارة أو كان بمعنى الحلول فى المكان كقولهم : وقعت الإبل اذا بركت، أو المراد أفلاك النجوم المضبوطة السير فى أفق السماء وكذلك بروجها ومنازلها .

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ جملة معترضة بين القسم وجوابه لتعظيم القسم وتوكيده وتقريره .

وفى هذا الاعتراض اعتراض آخر وهو (لو تعلمون) بين الصفة والموصوف لبيان أهمية القسم ولتأكيد تعظيمه، وجواب (لو) متروك

أريد به نفى علمهم ، أو محذوف ثقة لظهوره، أى لعظمتموه، أو لعملتم بموجبه.

ومفعول (تعلمون) محذوف دل عليه الكلام أى لو تعلمون عظمته، ويجوز أن يكون (تعلمون) منزل منزلة اللازم أى لو كان لكم علم، ولكنكم لا تتصفون بالعلم .

وضمير (إنه) يصح عوده على القسم ويكون المشركون نزل علمهم بأحوال النجوم منزلة العدم، لأنهم بكفرهم لم يجروا على موجب العلم من توحيد الله، فلو علموا ما اشتملت عليه أحوال مواقع النجوم من متعلقات صفات الله تعالى لعلموا أنها مواقع قدسية لا يحلف بها إلا بار فى يمينه.

ويصح عود الضمير على المقسم عليه، فالمعنى لو تعلمون ذلك لما احتيج إلى القسم وعلى هذا يكون فيه تعريض لهم بنفى العلم عنهم .

﴿ إنه لقرآن كريم ﴾

التأكيد بـ (إن) واللام والقسم لرد إنكار المشركين القرآن الكريم حيث قالوا عنه سحر وشعر وقول كهانة وأساطير الأولين .

ووصف القرآن بأنه (كريم) يفيد تفضيله على أفراد نوعه من الكتب الإلهية مثل التوراة الإنجيل والزبور وغيرها وفضله عليها أنه فاقها فى استيفاء أعراض الدين وأحوال المعاش والمعاد، وإثبات

المعتقدات بدلالة التكوين، وفى وضوح مافيه وفصاحته وبلاغته، وفى حسن آياته وفى كثرة دلالاته مع قلة ألفاظه.

(فى كتاب مكنون)

هذا وصف ثان للقرآن الكريم، وهذا وصف كرامة لا محاله. فليس لفظ (كتاب) ولا وصف (مكنون) مرادا بهما الحقيقة، فليس فى حمل ذلك على الحقيقة تكريم فحرف (فى) للظرفية المجازية.

و (الكتاب المكنون) مستعار لموافقة ألفاظ القرآن ومعانيه ما فى علم الله تعالى وإرادته ، وأمره الملك تبليغه الرسول ﷺ وتلك شئون محجوبة عنا فلذلك وصف الكتاب المكنون اشتقاقا من الاكتنان، وهو الاستتار، أى محجوب عن أنظار الناس، فهو أمر مغيب لا يعلم كنهه إلا الله [1].

فاستعير حرف الظرفية (فى) لمعنى مطابقة ماهو عند الله تشبيها لتلك المطابقة باتحاد المظروف بالظرف، واستعير الكتاب للأمر الثابت المحقق الذى لا يقبل التغيير، فالتأم من استعارة الظرفية لمعنى المطابقة. ومن استعارة الكتاب للثابت المحقق معنى موافقة معانى القرآن لما عند الله من متعلق علمه ومتعلق إرادته وقدرته، وموافقة ألفاظه لما أمر الله بخلقه من الكلام الدال على تلك المعانى على أقرب وجه.

(١) انظر التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٣٣.

(لا يمسه إلا المطهرون)

المطهرون : الملائكة ، المراد الطهارة النفسانية ، وهى الزكاة ، وبناء على ذلك نفى مسه كناية عن لازمة وهو نفى الاطلاع عليه لأن المس.

المراد به هنا الأخذ، وفى الحديث (مس من طيبه) أى أخذ ويطلق المس على المخالطة والمطالعة [1].

والقصر هنا حقيقى تحقيقى ، لأن المعنى أن الكتاب لا يباشر نقل ما يحتوى عليه لتبليغه إلا الملك الموكل بذلك.

(تنزيل من رب العالمين) الجملة مبينه لجملة (فى كتاب مكنون) و(تنزيل) خبر لمبتدأ محذوف للعلم به ، أى القرآن. ووصف القرآن بـ (تنزيل) وهو مصدر ، أى وصف بالمصدر لأنه ينزل نجوما فكأنه فى نفسه تنزيل ولذلك أجرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء فى التنزيل، ونطق به التنزيل.

﴿ أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾

الاستفهام مستعمل فى التوبيخ .

والمراد بالحديث إخبار الله تعالى بالقرآن فهو من وضع الظاهر موضع الضمير، فمقتضى الظاهر أن يقال : أفبه ، فعدل إلى اسم الإشارة ليحصل باسم الإشارة تعظيم القرآن الكريم .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٣٤.

(مدهنون) إذا فسرنا هذا اللفظ بمعنى التهاون يكون فيه استعارة تبعية، شبه التهاون بالمداهنة، لأن المتهاون بالأمر لا يتصلب فيه، واستغار المشبه به للمشبه واشتق منه (مدهنون) بمعنى متهاونون .

واللام فى (الحديث للعهد .

وتقديم المجرور (أفبهذا) للاهتمام.

ومجئ الجملة اسمية (أنتم مدهنون) لأن المقرر عليه إدهان ثابت.

(وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) عطف على جملة (أفبهذا الحديث ....) للتوسط بين الكمالين مع عدم وجود مانع .

وفى قوله (وتجعلون رزقكم) إما على حذف مضاف تقديره وتجعلون شر رزقكم، وإما مجاز مرسل فى (رزقكم) أطلق الرزق وأريد الشكر والرزق مسبب عن الشكر فالعلاقة المسببية.

والآية توبيخ للقائلين فى المطر الذى ينزله الله تعالى رزقا: هذا بنوء كذا وكذا ....

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦)
تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ
وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ
مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ
حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ
رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦) ﴾

تفسير المفردات :

لولا : حرف يفيد الحث على حصول ما بعده على سبيل الاستحسان أو الوجوب .

الحلقوم : مجرى الطعام .

ونحن أقرب إليه منكم : علما وقدرة .

مدينين : أى محاسبين مجزيين ، أو مملوكين مقهورين.

الروح : الاستراحة والرحمة.

ريحان : رزق أو الاستراحة عند الموت .

من المكذبين الضالين : هم أصحاب الشمال .

فنزل : أى فجزاؤه نزل .

تصلية جحيم : إدخال فى النار.

حق اليقين : حق الخبر الذى لا شك فيه.

المعنى العام :

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى جحود الكافرين بآياته وتكذيبهم رسوله وكتابه، واعتقادهم أن رزقهم من الأنواء أردف بتوبيخهم على ما يعتقدون، فإذا كان للفعل فاعل ولابد من ذلك، فإذا لم يكن لكم خالق وأنتم الخالقون فهلا ترجعون النفوس إلى أجسادها حين خروجها ووصولها إلى الحلقوم، فهلا ترجعون النفس التى قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول من الأجساد إن كنتم غير مصدقين أنكم تبعثون وتحاسبون وتجزون .

وبعد أن ذكر حال المحتضرين فى الدنيا أردف ذكر حالهم بعد الوفاة وقسمهم أزواجا ثلاثة :

١- فإن كان المتوفى من الذين قربهم ربهم من جواره فى جناته لفعله ما أمر به وتركه ما نهى عه فراحة واطمئنان لنفسه ورزق واسع عنده، وتبشره الملائكة بجنات النعيم.

٢- وإن كان المتوفى من أصحاب اليمين فتبشره الملائكة وتقول له : سلام لك من إخوانك أصحاب اليمين.

٣- وإن كان المتوفى من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى فيقدم ضيافة له ماء حميم يصهر به ما فى بطنه والجلود ويدخل فى النار التى تغمره من جميع جهاته.

إن هذا الذى ذكر فى هذه السورة من أمر البعث الذى كذبوه ومن قيام الأدلة على حدوثه ومن حال المقربين وأصحاب اليمين، وحال المكذبين الضالين لهو حق اليقين الذى لا شك فيه لتظاهر الأدلة القاطعة عليه كأنه مشاهد رأى العين.

فبعد أن استبان لك يا: محمد ﷺ وظهر لك اليقين فنزه ربك عما لا يليق به مما ينسبه الكفار إليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

التحليل البلاغى:

(فلولا إذا بلغت الحلقوم)

لولا حرف تحضيض مستعمل فى التعجيز هنا، لأن المحضوض إذا لم يفعل ما حض على فعله فقد أظهر عجزه، والفعل المحضوض عليه هو (ترجعون) أى تحاولون رجوعها.

و (إذا) ظرف متعلق بـ (ترجعونها) مقدم عليه للتهويل والتشويق إلى الفعل المحضود عليه.

والضمير المستتر فى (بلغت) عائد على مفهوم من العبارات لظهور أن التى تبلغ الحلقوم هى الروح، حذف إيجاز.

و (اللام) فى الحلقوم للعهد الجنسى.

وقوله (وأنتم حينئذ تنظرون) فيه حذف مفعول (تنظرون) أى صاحبها أى صاحب الروح وحذفه لانفهامه من الكلام.

(ونحن أقرب إليه منكم) جملة معترضة والواو اعتراضية، أو الجملة حال من مفعول (تنظرون) المحذوف.

وأيا ما كان فذكرت لبيان أن ثمة حضور أقرب من حضورهم عند المحتضر، وهو حضور التصريف لأحواله الباطنة، وفيه توبيخ لهم على صدور مايدل على سوء اعتقادهم بربهم سبحانه وتعالى.

والمراد بالقرب العلم من إطلاق السبب وإراده المسب، (فإن القرب أقوى سبب للاطلاع والعلم)(١).

وجملة (ولكن لا تبصرون) معترضة بين جملة (ونحن أقرب إليه منكم).

وجملة (فلولا إن كنتم غير مدينين) للتهكم بهم وجهلهم بشئون الله فى المحتضر.

ومفعول (تبصرون) محذوف دل عليه قوله (ونحن أقرب إليه منكم ......).

---

(١) روح المعانى ٢٧/ ١٥٨.

لولا : تأكيد لفظى لـ (لولا) فى قوله (فلولا إذا بلغت الحلقوم) وأعيد لتبنى عليه جملة (ترجعونها) لطول الفصل .

وجملة (إن كنتم غير مدينين) إما حال من الواو فى (ترجعونها) أو معترضة لإظهار عجزهم وجهلهم بأنهم مربوبون مجازون على أعمالهم وأسند الفعل (إن كنتم غير مدينين) إلى المخاطبين دون أن يقول: إن كان الناس غير مدينين ، لأنه المخاطبين هم الذين لأجل إنكارهم البعث سيق هذا الكلام، والمعنى لو كنتم أنتم وكان الناس غير مدينين.

(إن كنتم صادقين) جواب شرط (إن) محذوف دل عليه (ترجعونها).

(فأما إن كان من المقربين. فروح وريحان وجنة نعيم ...الخ الآيات .

شرع سبحانه وتعالى فى بيان حال المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عند الوفاة، وفى هذه الآيات فيها إجمال أحوال الجزاء فى مرابت الناس إجمالا لما سبق رد العجز على الصدر، وذكر لكل صنف من هؤلاء جزاء لم يذكر فيما مضى ليضم إلى ما أعد لهم فيما تقدم على طريقة القرآن فى توزيع القصة .

والمقربون هو السابقون الذين تقدم ذكرهم فى قوله (والسابقون السابقون أولئك المقربون) فعبر بـ (المقربين) ولم يعبر بـ (السابقين) لأن (المقربين) أجل أوصافهم .

و (فروح) مبتدأ حذف خبره، أى فله روح ، وإما خبر حذف مبتدأه، أى فجزاؤه روح وعلى التقديرين فيه إيجاز بالحذف للعلم بالمحذوف.

هذا على قراءة فتح الراء. وقرئ بضم الراء بمعنى الرحمة، لأنها كالحياة للمرحوم، أو سبب لحياته الدائمة، فإطلاقه عليها من باب الاستعارة أو المجاز المرسل[١].

(وأما إن كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين).

عبر عنهم بالعنوان السابق إذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف ينبئ عن شأنهم سواه.

(فسلام لك من أصحاب اليمين).

(قيل هو على تقدير القول ، أى فيقال لذلك المتوفى منهم سلام لك ياصاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين، وعلى ذلك ففيه إيجاز[٢].

(١) روح المعانى ٢٧/ ١٦٠.
(٢) المرجع السابق .

واللام فى قوله (لك) للاختصاص. والكلام إجمال للتنويه بهم وعلو مرتبتهم وخلاصهم من المكدرات .

وقيل الكاف خطاب لمن كان من أصحاب اليمين على طريقة الالتفات ومقتضى الظاهر أن يقال: فسلام له، فعدل إلى كاف الخطاب لاستحضار تلك الحالة الشريفة(١).

و (من أصحاب اليمين) خبر لمبتدأ محذوف ، أى أنت من أصحاب اليمين، وفيه إيجاز بالحذف .

(وأما إن كان من المكذبين الضالين).

هم أصحاب الشمال، عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا عند بيان أحوالهم بقوله : (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون) ذما لهم وإشعاراً بسبب ما ابتلوا به من العذاب .

(وقدم هنا وصف التكذيب على وصف الضلال عكس ما تقدم فى قوله : (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون) لمراعاة سبب ما نالهم من العذاب، وهو التكذيب ، لأن الكلام هنا على عذاب قد حان حينه، وفات وقت الحذر منه، فبين سبب عذابهم، وذكروا بالذى أوقعهم فى سببه ليحصل لهم ألم الندم)(٢).

---

(١) روح المعانى ٢٧/٣٤٨، وانظر التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٤٨.

(٢) التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٤٨.

(فنزل من حميم) إطلاق النزل هنا تهكم، وهو إما خبر لمبتدأ محذوف تقديره: فحزاؤه نزل. أو لمبتدأ خبره محذوف أى فله نزل. فعلى التقديرين فيه إيجاز بالحذف.

(وتصلية جحيم)

التصلية مصدر صلاه المشدد إذا أحرقه وشواه وهو ملائم للنزل على طريقة التهكم.

وقوله (إن هذا لهو حق اليقين) تذييل لجميع ما أشتملت عليه السورة من المعانى المثبتة.

وقد اشتمل على أربعة مؤكدات وهى (إن) و (اللام) وضمير الفصل ، وإضافة شبه المترادفين ، وذلك لرد إنار المنكرين للبعث وتكذيبهم الرسول ﷺ .

وقول (فسبح باسم ربك العظيم) تفريع على تحقيق أن ماذكر هو اليقين حقا، فإن ماذكر يشتمل على عظيم صفات الله تعالى، وبديع صنعه وحكمته وعدله، ويبشر النبى ﷺ وأمته بمراتب من الشرف والسلامة على مقادير درجاتهم ، وبنعمة النجاة مما يصير إليه المشركون من سوء العاقبة، فلا جرم أن يؤمر بتسبيح الله تعالى تسبيحا استحقه لعظمته. للدوام وإلا فالرسول ؤ.

والأمر (فسبح) يسبح ربه ليلا ونهارا).

الآلوسى : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم، والسبع المثانى، ط إحياء التراث العربى .

أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ط إحياء التراث .

أحمد مصطفى المراغى: تفسير المراغى ط الحلبى .

البغوى : أبو الحسن بن مسعود الفراء : معالم التنزيل فى التفسير والتأويل ط دار الفكر.

البقاعى : برهان الدين أبو الحسن بن إبراهيم : نظم الدرر فى تناسق الآيات والسور ط أولى .

الباقلانى : إعجاز القران . تحقيق محمد خفاجى .

البيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل المشهور بتفسير البيضاوى ط دار الفكر.

حنفى أحمد : التفسير العملى للآيات الكونية فى القرآن ط دار المعارف.

أبو حيان : البحر المحيط فى التفسير ط دار الفكر.

الجمل: سليمان بن محمد العجيلى : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ط دار الفكر .

أبو بكر جابر الجزائرى : أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير ط دار لاسلام للنشر بالقاهرة.

الخطابى : بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل فى الإعجاز ط دار الفكر.

الرازى : نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز.

الرازى : مفاتيح الغيب ط دار الفكر.

الزمخشرى : الكشاف ط دار المعارف بيروت .

السيوطى : التجير فى علم التفسير تحقيق فتحى فريد.

السيوطى : وبيان القرآن الكريم مع أسباب النزول ط دار السلام دمشق.

سيد قطب : فى ظلال القرآن .

سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن ط ثالثة .

السكاكى : مفتاح العلوم .

الشريف الرضى : حقائق التأويل فى متشابه التنزيل ط بغداد سنة ١٩٣٦م.

الشريف الرضى : تلخيص البيان فى مجازات القرآن .

صديق حسن خان : فتح البيان فى مقاصد القرآن ط دار الفكر.

الطباطبائى: الميزان فى تفسير القرآن. مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت.

الطبرى : جامع البيان عن تأويل القرآن دار الفكر.

عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز.

عبد الكريم الخطيب : التفسير القرآن للقرآن.

عبد المتعال الصعيدى : بغية الإيضاح.

ابن عاشور : محمد الظاهر: التحرير والتنوير ط الدار التونسية.

ابن عربى : محيى الدين : تفسير القرآن الكريم ط دار الأندلس.

أبو بكر محمد المعروف بابن عربى : أحكام القرآن .

القرناطى : محمد بن أحمد جرى الكلبى : كتاب التسهيل لعلوم التنزيل تحقيق محمد عبد المنعم وإبراهيم عطوه .

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن .

القاضى عبد الجبار: المغنى تحقيق أمين الخولى ! دار الكتب المصرية.

ابن القيم الجوزية: التبيان فى أقسام القرآن ط دار الفكر.

ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : كتب هوامشه وضبطه حسن إبراهيم زهران ط دار الفكر .

محمد عبد الرحيم: تفسير الحسن البصرى: جمع وتوثيق محمد عبد الرحيم ط دار الفكر .

مكى بن أبى طالب القيسى : تفسير المشكل من غريب القرآن تحقيق على حسين .

الماوردى أبو الحسن على بن محمد بن حبيب : النكت والعيون، راجعة وعلق عليه السيب بن عبد المقصود ط دار الكتب العلمية ببيروت .